المحاضرة التاسعة: 9- الفلسفة التحليلية

لقد نشأت الفلسفة التحليلية كردّ فعل على النزعات المثالية على نحو عام.وتحديدا ضد الاتجاه العقلي الذي كان سائدا. ومن ثم جاءت معبّرة عن الروح العلمية الرياضية التي شهدها هذا العصر، أي في بداية القرن. و الهدف الأساسي الذي ينبغي أن تُعنى به الفلسفة حسب فلاسفة التحليل هو تحليل اللغة، وضرورة إيجاد منهج علمي جديد في الفلسفة. هذا بعد رفض الميتافيزيقا. ومن معاني التحليل أيضا أن تميل الفلسفة أكثر إلى الدقة و الوضوح. و لن يتأتّى ذلك إلا بتحليل عناصر الموضوع بهدف التقليل من درجة الغموض فيه، وأن أغلب المشكلات الفلسفية التي لا حل لها نابعة من عدم فهم منطق اللغة. ومن ثم "وجهوا انتقاداتهم اللاذعة إلى كل فلسفة تثير مشكلات مثل: الجوهر، العلة، المبدأ، العدم، الوجود، الأصل، المصير.....الخ، وتضع مهمتها الأساسية في حلّ هذه المشكلات. ولو أردنا أن نلم ببعض خصائص الفلسفة التحليلية بصورة عامة - رغم ما نجده داخلها من اتجاهات مختلفة و مدارس متعددة - يمكن القول أنها تعطي اللغة الدور الفعال في الفلسفة، أي تهتم كثيرا "بالوجود اللفظي".حتى إن اهتمام بعض الفلاسفة من أمثال"مور" و"فتجنشتين" و"مدرسة أكسفورد" جعلت بعض الباحثين يعتبرون الفلسفة مجرد بحث في اللغة. والمنطق حسب هؤلاء هو بحث في الجهاز الرمزي للغة، وتحليل لعناصره. لكنّه مع ذلك يجدر بنا أن ننبّه إلى الفرق بين أنصار الفلسفة التحليلية و غيرهم ممّن يهتمون بدراسة اللغة من "النحويين" أو فقهاء اللغة. فاللغة لدى الفريق الأول ليست مجرد وسيلة فقط، بل إنها تعدّ إحدى أهم أهداف البحث الفلسفي، ذلك أن دراستها تمكّن من حلّ كثير كن المشكلات الفلسفية التي لازالت عالقة. بينما يهتم الفريق الثاني بمعاني الألفاظ و تطورها و تغيرها وزوالها باعتماد المنهج العلمي. ومن ثم يضعون لها قواعد و يضعون لها معاجم و قواميس. و تصبح الدراسة هنا أقرب إلى العلم منها إلى الفلسفة. و إن كان هناك فرق واختلاف واضح بين الفلاسفة التحليليين أنفسهم في تناولهم لمسألة اللغة.كما ينبغي التنبيه إلى الفرق بين اهتمام الفلاسفة القدماء و زعماء الفلسفة التحليلية. فقد تناول" أفلاطون" قديما "اللغة" كما تناولها فلاسفة العصر الحديث خاصة أنصار التجريبية الإنجليزية، وقبلهم" بيكون Francis

Bacon)(1561-1626م)" لما تكلم عن "أوهام السوق.لكن الفلاسفة التحليليين نجحوا إلى حد كبير في ترجمة المشكلات الفلسفية في صياغات وحدود لغوية.

ـ تميل الفلسفة التحليلية إلى تجزيء المشكلات الفلسفية، بحيث تتناولها عنصرا عنصرا، بعيدا عن كل تصورات تتعلق بالوجود ككل. أي أنهم يميلون إلى التفصيل أو التركيز على المسائل الصغيرة، والابتعاد قدر الإمكان عن النظرة الشمولية. فحل المشكلات الفلسفية الكبيرة و العويصة يبدأ من وضع خطة لمعالجة الإشكاليات الجزئية و الفرعية على نحو دقيق. وهو ما يبعدها عن الافتراضات و المقولات العامة التي درجت عليها الفلسفة التقليدية.

ـ تميل الفلسفة التحليلية إلى العلم، واكتساب الصيغة العلمية. إنها تسعى إلى اكتشاف العالم الخارجي ومحاولة فهمه و معرفته. أي أنها تسعى إلى الموضوعية في تحقيق أهدافها، وإلى الدقة في تناول المسائل الفلسفية من خلال المنهج الذي تتعامل به مع هذه الموضوعات.

1-8 برتراند رسل:P.Russel

وهو فيلسوف إنجليزي ولد سنة 1872م، و توفي سنة 1970م. حصل على جائزة نوبل للآداب، أشهر مؤلفاته: "أصول الرياضيات"،" مشكلات فلسفية"، "مدخل إلى الفلسفة الرياضية"، "مقالات فلسفية"،" فلسفة الذرية المنطقية". و غيرها من المؤلفات الكثيرة، المتنوعة والتي شملت دراسات اجتماعية و سياسية ومعرفية، فهو أغزر الفلاسفة من حيث الإنتاج الفلسفي المتنوع. لقد عاصر "رسل" تلك الفترة التي بدأ فيها التشكيك في قيمة الفلسفة و في قدرتها على حل جميع مشاكل الإنسان. خاصة من طرف "الوضعيين" من أمثال"أوجست كونت" ومن طرف دعاة "الفلسفة العلمية"، بهدف التقليل من قيمة الفلسفة. وعلى ذلك أسال "رسل" حبرا كبيرا في هذه المسألة، مدافعا عن الفلسفة وعن ضرورتها. لكنه يجدر بنا معرفة طبيعة ونوع الفلسفة التي يدافع عنها صاحبنا. "لقد كان مولعا منذ بداية حياته الفكرية بالرياضيات لما تتمتع به من يقين وإحكام. لذلك كان من الطبيعي أن يشيح بوجهه عن الفلسفة" المثالية" مُمثّلة في "هيجل" خاصة. وأن يولّي وجهه إلى المذهب الواقعي خاصة بعد أن تعرّف على أعمال الرياضي الإيطالي"بيانو"Piano و "مور" وغيرهم. فالفلسفة التي تشتمل على تصورات و أحكام عن الوجود ككل وعلى نحو شامل هي

حسبه فلسفة غير علمية. ومن هنا كان عليه أن يقدّم لنا فلسفة علمية لا تسمح لنفسها أن تحسم في مشاكل الوجود بواسطة تصورات كلية.

يعتقد" رسل" أنه على الفلسفة أن تتخلّى عن آمالها اللاّمحدودة في بناء نسق ميتافيزيقي متكامل إذا هي أرادت أن تحقق شيئا ذا قيمة في الواقع. وعليها أن توجه اهتمامها إلى المسائل الجزئية وفقا للمنهج العلمي.و مهمتها لا تكمن في جمع الحقائق، بل في البحث فيما لم يُقدّم فيه إجابات محدّدة. لأن ما تمت الإجابة عنه سيخرج من دائرتها، ويدخل مجال العلم. ولا يعني رسل بالعلم علوم الطبيعة أو العلوم التجريبية على نحو عام، بل عادة بالعلم العلوم الصورية كالرياضيات و المنطق. وما دام الإنسان يطرح من الأسئلة مالا سبيل إلى الإجابة عنه دائما بوضوح نظرا لطبيعة عقله، فإن الفلسفة تبقى دائما قائمة و ضرورية. و تبقى مستمرّة في التأمل. فإذا تساءلنا مثلا عن أهمية الخير و الشر بالنسبة للإنسان و الكون، فإن كل ما يقدمه الفلاسفة من إجابات لا يرقى إلى درجة الإقناع التام و الحسم. فقيمة الفلسفة إذن ينبغي أن نلمسها في عدم يقين أجوبتها. كما لا يطلب منا عند دراسة الفلسفة أن نتحدّد بالبحث عن إجابات نهائية لأن هذا غير ممكن. بل ندرسها فقط من أجل هذه الموضوعات ذاتها. و يقترح" رسل" للفلسفة منهجا جديدا اسمه " منهج التحليل المنطقي. يستعين فيه بنتائج المنطق الرياضي، و بتاريخ تقدم الرياضيات و غيرها مما وصل إليه"بيانو"و "فريجة"Frege . و بالتحليل فقط يمكن الوقوف على أن هذه المسألة منطقية أم لا. و لما كان المنطق من صميم الفلسفة، فإنه يمكن القول أن التحليل هو الذي يبين لنا المشكلات الفلسفية من غيرها. و المنطق الرياضي وحده الذي يستطيع أن يزودنا بالأداة الضرورية لحل المشكلات الفلسفية. و يتناول المنطق الرياضي القضايا كموضوع أساسي له. و النمط الرئيسي فيها هو" القضايا الذرية" مثل" سقراط إنسان"، و"القضايا الجزئية" وهي ذرية إلا أنها ربطت بأدوات مثل إذا، أو،و،... ثم "القضايا العامة". ما هذه الكائنات؟ مثلا. إنها حسب"رسل" وقائع ذرية تتكون من جزئيات لها صفات معينة، ومندمجة في علاقات. وهذه تمثل الحد الذي تتوقف عنده عملية التحليل.

2-8 فتجنشتين(1889-1951م): وُلد في "فيينا" من أسرة ثرية، عريقة في الثقافة، يتمتع أفرادها بمواهب في الأدب و الموسيقى و العلم. لذلك مال منذ طفولته إلى الأعمال الأدبية و الفنية. درس المنطق الرياضي على يد "برتراند رسل" سنة 1912م، فكان لذلك أثر بالغ في تفكيره ظهر في كتاب" الرسالة المنطقية" التي سيكون لها دور كبير في أفكار الوضعية المنطقية. ثم تحوّلت دراساته واهتماماته إلى فلسفة اللغة. فكانت له آراء أصيلة أُعجب بها كل من "مور" و "رسل". و أثرت هي الأخرى بشكل كبير على المدارس التحليلية في "جامعة كمبردج" و"جامعة أكسفورد".

الحقيقة أن التحليل كمنهج يعد أهم ميزة في فلسفة فتجنشتين و لا يستخدمه لغرض تقسيم العالم إلى وقائع أو رد اللغة إلى قضايا، بل يحاول أن يذهب به بعيدا ليوضح المشكلات الفلسفية. و يزيل عنها الغموض. ومن ثم يقف على الزائف منها. ومن هنا كانت الفلسفة في نظره نشاطا و عملية توضيحية أكثر منها تقديما لمذاهب معينة. و ليس مطلوبا من الفيلسوف أن يقدم مذهبا معينا لأنه لا يملك ذلك. إنه أشبه ما يكون بالمصوّر الذي لا يقدر على أن يقرر شيئا، بل كل ما في وسعه هو أن يظهرنا على ما هو موجود بالفعل. و لعل أغلب المشكلات الفلسفية ناتجة عن سوء استخدام الألفاظ، وهنا "كان على الفلسفة أن تتكفل بالكشف عن الكلام الواضح. بل إن محاولات الفلاسفة السابقين اتجهت إلى إظهار طبيعة البناء الميتافيزيقي الحقيقي للعالم الواقعي من خلال اللغة. وجرّهم هذا إلى اصطناع عبارات عامة خالية من كل معنى. إذن على الإنسان أن يلتزم الصمت حيث لا يستطيع أن يتكلّم. لقد أصبح مفهوم الفلسفة عنده أنها مجرّد توضيح للأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تحمل هذه الأفكار،"إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، فالفلسفة ليست نظرية من النظريات، بل هي فاعلية، ولذا يتكوّن العمل الفلسفي أساسا من توضيحات، ولا تكون نتيجة الفلسفة عددا من القضايا الفلسفية، إنما هي توضيح للقضايا. فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح و تحديد الأفكار بكل دقة، وإلا ظلت تلك الأفكار معتمة و مبهمة، إذا جاز لنا هذا الوصف.

إن ما يريد "فتجنشتين" أن يصل إليه هو أن التحليل لا يضيف إلى معارفنا معرفة جديدة، بل هو طريقة جديدة للنظر في المشكلات الفلسفية. أي أن الفلسفة ليست سوى تصفية و تنظيم لما نعرفه من قبل. وطريقة تخلصنا من كل اضطراب يحدث في عقولنا بسبب استخدام اللغة. "إن المشكلات لا يتم حلها بذكر معلومات بل بترتيب ما قد عرفناه. فمعظم القضايا و الأسئلة التي أخذت القسط الأوفر من جهد الفلاسفة ليست في الحقيقة كاذبة، بل هي خالية من كل معنى. ولا يمكن الإجابة عن أسئلة من هذا القبيل. و كل ما يمكننا فعله هو أن نقرر عنها أنها خالية من المعنى. ومعظم الأسئلة و القضايا التي يقولها الفلاسفة إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا... فلا عجب إذا عرفنا أن أعمق المشكلات الفلسفية ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق. ويعتقد فيلسوفنا أن الوظيفة هي الأولى للغة تتمثل في تقرير الوقائع، و اللغة عنده هي اللغة المثالية الكاملة التي ينبغي أن يتجسد فيها التركيب المنطقي للحقيقة الواقعية، لذلك فإن هناك تقابل جوهري بين بناء الجملة و بناء الواقع، "أي أن وجود وقائع بسيطة يناظره وجود قضايا بسيطة. و معنى هذا أنه إذا ما تم لنا فهم تركيب أية لغة على نحو صحيح، أمكن ذلك من تحديد البناء الأنطولوجي للواقع نفسه. وهنا تكمن أهمية الفلسفة. حيث تسعى إلى تبيين أن كل قضية هي صورة لواقعة، لكن هذا غير متيسر، ومن ثم كانت قضايا الفلسفة التقليدية البعيدة عن العلم و المنطق زائفة وفارغة من كل معنى. و باختصار فإن التحليل المنطقي للغة يكشف لنا أن القضايا الفلسفية و الميتافيزيقية إنما تنشأ عن سوء فهم منطق اللغة. "وسوء الفهم هذا مرده إلى عوامل كثيرة أهمها الخلط بين الصورة المنطقية الظاهرة للقضايا و صورتها الحقيقية". وكذلك الخلط بين التصور الصوري و تصورنا عن اسم العلم، أي بين المعنى الكلي و اللفظ الذي نعبر به عنه من جهة و بين الأسماء التي تشير إلى أشياء محددة في الواقع من جهة أخرى، فينتقل إلى إدراكنا تشابه الاثنين في الدلالة. مثال ذلك قولنا: هنالك أوراق، أو هناك 20 ورقة ليس هو قولنا أن هناك أشياء، أو أن هناك 20شيئا. إن للمثالين نفس الصورة الظاهرية، وهما قد قيلتا على نحو واحد. لكن الحقيقة أن القول الثاني ليس قضية حقيقية، بل إنه شبه قضية خالي من كل معنى، لأن لفظة "شيء" ليست تصورا على الإطلاق كما هو الحال بالنسبة إلى ورقة أو قلم أو كتاب. كما قد يقع الخلط عندما يحاول شخص معين أن يعبّر عن الصفات الباطنية أو

العلاقات الداخلية للوقائع، فيكون بذلك قد تجاوز حدود اللغة مثال ذلك أن اللون الأبيض أو الأزرق يرتبط بعلاقة داخلية مع لون آخر معين كونه أشدّ لمعانا أو قتامة. و كثيرة هي الأوهام و أشكال اللغو الصريح التي يتكلم عنها "فتجنشتين" في كتابه" بحوث فلسفية" فعندما يستخدم الفلاسفة كلمة معرفة، وجود،موضوع،أنا، قضية، اسم فإنهم يحاولون إدراك ماهية الشيء. و على الإنسان أن يسأل نفسه: هل يستخدم الكلمة بالفعل دائما على هذا النحو في لعبة اللغة التي تكون بمثابة موطنها الأصلي. "إن ما نفعله هو إعادة الكلمات من استخدامها الميتافيزيقي إلى استخدامها اليومي.

إن ما يودّ صاحبنا أن يخلص إليه ليس الحكم على النتائج التي نصل إليها بالصحة أو الخطأ، بل الأهمّ من ذلك أنه أوجد منهجا جديدا في الفلسفة به تناول القضايا الفلسفية المختلفة. فإذا كان "كانط" سعى إلى البحث عن حدود معينة للعقل لا ينبغي له أن يتجاوزها من خلال فلسفته النقدية، وإذا كان "برغسون" حاول حصر وظيفة العقل في العلم و قضايا المادة، ليفسح المجال للحدس في قضايا الروح، فكذلك حاول "فتجنشتين" أن يوضح مجال ما يمكن التحدث عنه في الفلسفة من خلال تحليل اللغة.